ما بعد كامب ديفيد وحتى حرب لبنان، بهدف إظهار التفاعل بين القيود الداخلية والخارجية في اوضح حالاتها. فيستعرض صعود نجم المنظمة على المسرح الدولي في الوقت الذي بدأت فيه الظروف الميدانية تحاصرها في لبنان. وكلما تقدمت م.ت.ف. دولياً، اخفى ذلك ازدياد الضغط العربي الى اعلى مستوياته بسبب خروج مصر من حلبة الصراع وبالتالي من موقع تقدر منه ان تدعم المنظمة، واندلاع حرب الخليج مما شل الدول النفطية وازال الوزن المضاد للوزن السوري فيما يخص م.ت.ف. وقد انعكس الوضع الحرج للمنظمة، مثلاً، في اضطرارها الى مقاطعة مؤتمر القمة العربي المنعقد في عمان في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٠. وقد جاءت الحرب الباردة السورية ـ الاردنية لتحرج م.ت.ف. في وقت كانت تسعى فيه الى توطيد العلاقات مع الاردن بهدف منعها من السير في طريق كامب ديفيد وبهدف زيادة طرق دعم صمود الارض المحتلة. وقد جاءت اجواء الحرب الشاملة مع اسرائيل في هذه اللحظات لتخلق الشعور لدى قيادة المنظمة بأن كافة الاوراق باتت في كفة الميزان وان م.ت.ف. دخلت في سباق مع الزمن ومع جدول انفجار الصدام مع اسرائيل او سوريا.

لقد صدر هذا الكتاب مع تطور الانشقاق في داخل (فتح)، ولذلك، فإنه لم يناقش ظروف وحيثيات ذلك الانشقاق. لكن يجدر التأكيد ان ذلك لم يخلق ثغرة في قوة التحليل وفي صحة الاستنتاجات التي عرضها ميلر في فصله الختامي «م.ت.ف. الى اين؟». فيعلق المؤلف، بداية، بانه من سخرية القدر ان الغزو الاسرائيلي للبنان قد خلق فرصاً جديدة امام م.ت.ف.، وان (فتح) خرجت من الحرب في موقع معزز بالمقارنة مع التنظيمات الاخرى، كما كان الحال عند الخروج من كل حرب او مواجهة سابقة. ويضيف ان التنظيمات المؤيدة لسوريا قد خسرت سياسياً اكثر من غيرها، ومازال ذلك التقييم صحيحاً رغم سيطرة سوريا على الآلاف من الفدائيين، اذ اظهرت مختلف الاحداث في الساحة الفلسطينية مدى ضعف تنظيمات الانشقاق في كل مناطق التواجد الفلسطيني، بما فيها تلك الواقعة تحت السيطرة السورية.

ويناقش ميلر الاستراتيجية المحتملة للمنظمة، ويركز على اهمية العلاقة بالاردن، كما ويناقش الصعوبات التي قد تواجهها دولة فلسطينية في الضفة الغربية (بسبب قوة النفوذ الاقتصادي والسياسي والاداري للضفة الشرقية). وينجح المؤلف، مرة اخرى، في توقع السياسة التي سيتبعها، على الأرجح، قادة م.ت.ف.، لكنه يخفق، مرة أخرى، في كونه يبني تحليله، بالكامل، على اساس الخيار السياسي ـ الدبلوماسي فحسب، دون ان يتطرق الى اية خيارات اخرى.

يمثل هذا الكتاب، في المحصلة، خلفية صالحة لفهم سياسات منظمة التحرير ومنطق تحركها في الساحات الفلسطينية والعربية والدولية، لكنه يقصر في تحليل الامكانيات وتوقع الاحداث بقدر ما يسعى الى اقناع م.ت.ف. باحتلال الموقع المناسب الذي يمكن ان ترضى عنه الادارة الاميركية. فهل تتمتع م.ت.ف. او اي فصيل فلسطيني باستراتيجية بديلة فاعلة؟

يزيد خلف